كلية القانون والعلوم السياسية

قسم/ العلوم السياسية

المرحلة/ الرابعة

المادة/ القضية الفلسطينية

استاذ المادة/ أ.م. د. عماد خضير سلمان

(المحاضرة الاولى)

الموضوع/ فلسطين التسمية والجغرافية :

أُطلق على فلسطين القديمة الكثير من الأسماء عبر التاريخ[١] ومن أبرز تلك الأسماء التي التصقت بها، والتي عبرت عن هوية الشعوب المتنفذة فيها خلال عهود مختلفة هي: (كنعان ، فلسطين) فبالنسبة لتسميتها بـ (أرض كنعان) فقد تعددت الآراء فيها، فمن الناحية اللغوية يرى بعض المؤرخين أن اسم (كنعان Kanan) سامي مشتق من فعل (كنع Kena) ويعني باللغة الكنعانية (منخفض)، وأن أسم الكنعانيين يعني سكان المنخفض، وربما جاءت هذه التسمية للتمييز جغرافياً بين الساحل الفينيقي والكنعاني المنخفض بالنسبة للمرتفعات المجاورة وبخاصة في لبنان، كما وردت هذه التسمية في رسائل العمارنة[٢] (كيناخي Kinakhkhi) أو (كيناخني Kinakhni)– أرض قصب البردي أو اللون القرمزي– وأسمتها هذه الرسائل أيضاً (من القرن الرابع عشر قبل الميلاد) عمورو التي شملت لبنان أيضاً.

وقد أستعمل الإغريق القدامى هذا اللفظ في بادىء الأمر للدلالة على المنطقة الساحلية، ومن ثم طغت التسمية لتحل مكان اسم المنطقة القديم والأصيل وهو بلاد كنعان.

---

[١] – ومن هذه الأسماء التي أُطلقت على فلسطين القديمة والتي تم معرفتها من خلال النصوص القديمة هي:(خارو)، وهو الاسم الذي أطلقه الفراعنة على فلسطين منذ الألف الثالث قبل الميلاد، (رتنو) وهي اللفظة التي أطلقتها المصادر المصرية القديمة كأسم لفلسطين القديمة في الوقت الذي أطلقتها نفس تلك المصادر على سورية ولبنان، (مريام) وهي تسمية أخرى أطلقت على فلسطين، وردت في ملحمة شعرية تسمى (اللآلى) وضعت في النصف الأول أو الثاني من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ولعل هذه التسمية تعني بلاد البخور

[٢] – رسائل العمارنة: وهي المراسلات المتبادلة بين الفراعنة المصريين وملوك بلاد الرافدين، وأمراء ممالك الشرق الأدنى في سورية وقبرص وغيرها، والتي عثر عليها في تل العمارنة الواقع في مصر العليا على الضفة الشرقية للنيل، وهو الاسم الحالي لموقع مدينة (اخيت آتون) العاصمة التي اتخذها امنحوتب الرابع اخناتون (١٣٧٧– ١٣٥٨ ق. م.) بدلاً من عاصمته القديمة (طيبة) في مصر، وكانت هذه المراسلات مكتوبة بالخط المسماري، واللغة الأكدية التي كانت اللغة العالمية في ذلك العصر، وقد ساعدت هذه الرسائل على تكوين فكرة واضحة عن تاريخ كامل لمنطقة الشرق الأدنى القديم، خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ومعظم هذه الرسائل يتعلق بشؤون التجارة والعلاقات الدولية،

أما (فلسطين) فهي التسمية الأخيرة التي اكتسبتها هذه البلاد في نحو أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، عندما هاجرت إليها أحدى أقوام شعوب البحر وهم (الفلستينيون) الذين استقروا في سواحلها الجنوبية بعد أحداث أتسمت بالعنف على أتفاق أكثر المؤرخين.

وأقدم ذكر لهذه التسمية ورد في النصوص المصرية والآشورية، حيث سميت هذه البلاد عندما سيطر عليها الفلستيون، بأسم (بالاستو) palastu أو (بيليستو) pilistu وهو نفس الاصطلاح اليوناني (فلستيا) philistia الذي أصبح (باليستينا) أي فلسطين.

وكان هيرودوتس المؤرخ اليوناني أول من أطلق أسم فلستيا (فلسطين) على القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام في كتابه الذي وضعه سنة (٤٥٠ ق.م.) وكان قبله يطلق على القسم الساحلي ما بين يافا وغزة فقط.

وفي الوقت عينه أشارت المصادر اليونانية إلى اكتساب المنطقة اسم آخر وهو (يهوذا) إذ تقول: عُرفت البلاد باسم يهوذا وعُرف السكان أنفسهم بأنهم يهوذيون.

وقد لاحظ بعض الباحثين أن الجغرافيين يستخدمون الاسم (فلسطين) أو (سورية الفلسطينية) عند الحديث عن اسم الإقليم الجغرافي، ويشيرون إلى الاسم (يهوذا) للدلالة عليها رسمياً كمقاطعة إدارية.

ويبدو من خلال ما تقدم أن هناك أسماء مشهورة عُرفت بها منطقة فلسطين عبر التاريخ وهي تعبر عن اسم الإقليم الجغرافي، بينما هناك أسماء أخرى اكتسبتها المنطقة عينها لأسباب إدارية كأسم مقاطعة(يهوذا) في العهد الروماني (٦٣ ق.م.– ٦٠٠م).

ولا يخفى أن فلسطين القديمة كانت أحدى أقاليم سورية القديمة[٣]، أو كما يسميها العرب بلاد الشام، لذلك نرى من الضروري تحديد الإطار الجغرافي لها كونها مسرحاً للأحداث التي سنتناولها في دراستنا لتلك الحقبة موضوع البحث، علماً أن الخارطة الجغرافية لحركة التأريخ اليهودي القديم لم تقتصر على منطقة فلسطين القديمة، وإنما شملت أغلب مناطق ما يسمى بالهلال الخصيب[٤] التي تشكل فلسطين طرفه الغربي.

---

[٣] – سورية القديمة: كانت تعني الإقليم الواقع بين أمانوس والفرات ولبنان الغربية ومنابع الأردن والصحراء، وكانت تنقسم إلى وحدات هي سورية العليا في الشمال وسورية البقاع في الوسط بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية، وتقع سورية بين خطي عرض ٣١،٢٧° شمالاً وخطي طول ٢٢،٤٠° شرقاً وهي واحدة من أقاليم آسيا الغربية تقع إلى الجنوب من هضاب الأناضول وكردستان، حدودها الغربية البحر المتوسط والشرقية الفرات، والى الشمال توجد سلسلة جبال طوروس وإلى الجنوب الصحراء الغربية السورية.

[٤] – الهلال الخصيب: يُطلق عادة هذا المصطلح على القسم الخصب الهلالي الشكل من جزيرة العرب الذي يقع على أطرافها الشرقية والشمالية والغربية، ويشمل سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن والعراق، وبعضهم يُدخل الجزء الشمالي من وادي النيل ضمن الهلال، وأول من قال بهذا المصطلح هو الأستاذ برستد وسماه بالإنكليزية (The fertile crescent)

وفلسطين هي الإقليم الجنوبي من سورية التي تقع بين رأس الناقورة[٥] (سكالاتيرورومSealatyromm، قديماً) على الساحل وعند سفح جبل حرمون[٦] شمالاً حتى وادي العريش (نهر مصر جنوباً) وحيث تقع مدينة العريش(رينو كورورا Rhino corora، قديماً) جنوباً، ويحددها العهد القديم، من دان وهي (تل القاضي عند سفح حرمون الجنوبي) حتى بئر السبع، وأما حدودها الشرقية التي لا تورد لها التوراة ذكراً فهي الأردن على الأرجح. وبناءاً على ما تقدم فإن فلسطين القديمة تشمل في دراستنا جميع الأراضي الواقعة بين نهر الأردن شرقاً والبحر الأبيض المتوسط غرباً، وبين الناقورة شمالاً وحدود مصر في الجنوب. ولكننا نجد فريق من المؤرخين يعتبر فلسطين القديمة السواحل السورية بعامة (الساحل السوري، الساحل اللبناني، الساحل الفلسطيني إلى حدود مصر)، بينما أعتبرها فريق آخر(المنطقة السورية الفلسطينية وسكانها).

ويلوح لنا أن تضارب الأدلة التأريخية حول تحديد الرقعة الجغرافية لفلسطين القديمة، لا يشكل عائقاً لدينا ما دامت تلك الأدلة تتفق مسبقاً على أن منطقة فلسطين القديمة هي الإقليم الجنوبي الغربي لسورية القديمة، ولهذا فإننا لا نرى اختلافا بيناً يمكن أن يعول عليه سواء أُضيفت أراض إلى حدودها الشمالية والجنوبية أو انتزعت منها، سيما أن فلسطين تُظهر نفس الصفات الطوبغرافية في سوريا ولبنان، فهي من الناحية الجغرافية جزء منها.

أرتبط الموقع الجغرافي لفلسطين ارتباطا وثيقاً بتأريخها الحضاري، كما كان لتضاريسها ومناخها أثر هام في توزيع سكانها، وتشكيل كيانها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ويكمن هذا في تنوع تضاريس أرضها، فهي مزيجاً من المرتفعات الشاهقة والسهول المنخفضة، والأودية الأكثر انخفاضاً.

ولرسم صورة طبيعية أكثر وضوحاً لجغرافية فلسطين وتضاريسها، فإننا نعتمد التقسيم الشائع بين المؤرخين الذين قسّموا أرض فلسطين إلى أربعة مناطق طبيعية هي: السهل الساحلي، والمرتفعات (جبال الجليل ونابلس والقدس والخليل)، وإقليم الغور، وإقليم بئر السبع.

فبالنسبة للمنطقة الساحلية نجدها تتألف من جزأين، شمالي وجنوبي، الشمالي منها والذي أسماه العهد القديم سهل سارونا (شارون– صارون بالكنعانية التي معناها المرج الخصب) فكان مشهوراً قديماً بخصبه

---

[٥] – الناقورة: ويقع هذا الرأس في فلسطين، ويبعد عن عكا بنحو (٢١ كم) وعن القدس بـ(١٩٧كم). كما يبعد عن صور بنحو (٢٤كم) وعن بيروت بـ(١٠٦كم) ، دُعي بذلك نسبة إلى قرية (الناقورة) وجبالها الواقعة ضمن الجمهورية اللبنانية وتبعد القرية مسافة (٤كم) عن الحدود الفلسطينية اللبنانية، والناقورة كلمة سريانية بمعنى (حفر) و(ثقب).

[٦] – حرمون: أحد جبال السلسلة الشرقية، يقع على الحدود السورية اللبنانية الحالية (٢٨١٤م)، أصل هذا ألاسم عبراني ومعناه (مقدس)، وقد سماه الأموريون (شنير) والفينيقيون (سيريون)، ويُعرف اليوم بجبل الشيخ (والأصح الجبل الشيخ)، وقد تكون هذه التسمية ترجمة لاسمه الآرامي (طور تلجا).

وكثرة مراعيه وزراعته ووفرة مياهه لكثرة أنهاره، وهو أكثر استواء من الجزء الجنوبي الذي سكنته القبائل أو الشعوب التي استوطنت فلسطين، وقد اسماه العهد القديم بـ(الأجزاء المنخفضة أو السفلى) ، وكانت الأرض في هذه المنطقة جرداء قاحلة، أما المرتفعات فهي الجبال التي تمتد في وسط منطقة فلسطين مؤلفة عمودها الفقري وتشغل ثلثي ارض فلسطين وهي امتداد طبيعي لجبال لبنان باتجاه الجنوب ويتخللها أودية عريضة غير عميقة، وعلى العموم فأن هذه الجبال تزداد ارتفاعا باتجاه الجنوب، وتنقسم المنطقة الجبلية إلى قسمين، شمالي وجنوبي ويعرف القسم الشمالي منها بمنطقة جبال الجليل، وتبدأ من رأس الناقورة ويفصلها مرج بني عامر (سهل يزرعيل)[٧] عن جبال القدس والسامرة، وهذه المنطقة على شكل هضبة محاطة بسلاسل من التلال يقطعها جبلان ويقل ارتفاعها كلما اتجهنا شمالا، وتتميز هذه المنطقة بخصوبتها، غير أن إمدادات المياه إليها ليست وفيرة ولهذا فقد اعتمدت على مياه الأمطار التي تهطل خلال فترة خمسة اشهر سنويا لا غيرها، وترتبط جبال الجليل مع السامرة بواسطة تلال زرعين.

أما القسم الجنوبي فهو منطقة جبال القدس ونابلس، وتمتد هذه المجموعة على الجانب الغربي من عرابة جنوباً من البحر الميت لحوالي (١٠٠٠كم) وقد سُميت المنطقة الجنوبية منها بالنقب (الأرض القاحلة، الجنوبية) ، وهضبة القدس كتلة جبلية تمتد إلى الشمال من الخليل ولا تفصلها أي حواجز طبيعية عن جبال نابلس.

أما المنطقة الثالثة فهي أقليم الغور الذي يقع شرقي فلسطين ويخترقها نهر الأردن مع بحيراته، وهذه المنطقة قسم من الانخفاض العظيم الذي يبدأ من جبال طوروس في آسيا الصغرى ويستمر جنوباً ماراً بسوريا والبحر الميت وخليج العقبة لينتهي في بحيرة فكتوريا بأواسط أفريقيا.

وتبقى لدينا أخيراً المنطقة الرابعة وهي أقليم بئر السبع والتي تشكل القسم الجنوبي من فلسطين وتشبه مثلثاً يقع رأسه على خليج العقبة، ويشمل ضلعاه جميع الأراضي الواقعة بين شبه جزيرة سيناء وشرقي الأردن وجنوب فلسطين ويعرف بمنطقة بئر السبع والصحراء الفلسطينية، وتبلغ مساحته حوالي نصف مساحة فلسطين، وكانت بئر السبع ممراً تجارياً هاماً في العالم المتمدن القديم.

---

[٧] – يزرعيل: سهل خصب يرويه نهر قيشون، يمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى الأردن ومن جبال السامرة إلى جبال الجليل، وتقع في هذا السهل مدينة بيسان (بيت شأن)، وقد مر به جميع الغزاة الوافدين من مختلف الاتجاهات.